وقف مركز مكة العالمي للهدى القرآني
جمعية القلم للدراسات والأبحاث
مؤتمر
هدايات القرآن في بناء الإنسان

عنوان البحث:

الأثر الروحي والنفسي لتدبر القرآن الكريم في بناء الشخصية المسلمة

اسم الباحث/ـة

د/ إدريس الكاميري

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

لقد دعا الخطاب القرآني الناس جميعا إلى التدبر والتفكر والتبصر والاعتبار، ونهى الناس كافة عن التقليد والتبلد وموت الحس والقلب والضمير ولقد اقتضت حكمة الخالق تعالى أن يرشد الإنسان إلى الاصل الذي يستقي منه معارفه وينهل منه حقائق هذا الوجود بل إن وجوده وبقاءه، يرتبط ارتباطاً وثيقاً بإقباله على كتاب الله عز وجل، لا بتلاوته وحفظه فحسب، بل بتدبره بالمعنى الواسع للتدبر فالتدبر هو الطاقة الدافعة إلى الفهم والمعرفة والاستنباط، وهو القوة الجالبة للتمثل والتخلق والتطبيق. فالقرآن محراب المتدبرين والمستنبطين وعلماء الاجتهاد، والكون محراب الدارسين والعابدين وعلماء التجارب والماديات؛ وكلٌّ في فلك يسبحون تدبرا واستنباطا وانتفاعا بمواعظ القرآن ولا ريب أن الفهم والتدبر والاستنباط من أعظم القربات، وأكمل الأعمال، وأوجب الواجبات، وأجل الطاعات؛ لأنه يقود العاقل إلى التأثر والتروي والاعتبار والعمل بموجبات العلم ووصايا الدين ورصيد التجارب.

فإذا كان القرآن هو مفتاح القلوب والعقول؛ فإن التدبر هو مفتاح القرآن والسبب الرئيس في معرفة كنوزه وفضائله وثمراته كما أنه هو القائد إلى تمثل الفوائد والحكم القرآنية حتى تكون خُلُقاً في حياة الفرد والأسرة والمجتمع. وفي هذه الدراسة يتم استعراض رؤية واستراتيجية ووجهة نظر متواضعة لما يمكّن من الاستثمار الأمثل والأحسن لهذا الكنز الموجود في أحضان هذه الأمة المحمدية، والتي لم تعرف قدره، ولذلك كانت حائرة في زمن محيّر.

لقد بدأ المجتمع المسلم يتلمس المشكلة عندما فقد هذا المجتمع الريادة، إذ تولدت غرابة من هذا الواقع الذي ارتسم في صورة هذا المجتمع،

وبسبب ذلك تأتّى التركيز على دراسة الأبعاد القرآنية لاستقراء سبب هذه النكسة من خلال المفاهيم القرآنية الراقية ووضع استراتيجية عملية لتحصيل الانتفاع بالنصوص القرآنية في واقع ومستقبل الفرد والأمة، والإنسان والإنسانية،

وهذا هو ما أحاول أن أحصّله في هذه الدراسة، والتي بدأتها بوضع هذه الاستراتيجية المتمثلة في بناء الدور القرآني في بناء الشخصية المسلمة ،

وذلك من خلال فهم حقيقة القرآن الذي هو مصدر ووسيلة للإصلاح، ومن خلال إدراك استراتيجية الإصلاح ومقوماتها كما طرحتها الرؤية القرآنية، وما يتصل بالمحل والقالب الذي ستصب فيها هذه العملية الإصلاحية، والمتمثل بالإنسانية والإنسان.

ومن خلال استهداف طرح هذه الاستراتيجية التي ابتغي من وراءها بناء وتأصيل دور عملي لاستثمار نصوص هذا القرآن ؛

انطلق في ذلك من أجل استهداف بناء الأثر الملموس للقرآن في حياة الإنسان، وذلك من خلال شرح مستفيض ومسهب للآلية التي أرى من خلالها تحقيق تأثير أكبر للنص القرآني في حياة الفرد، وفي حياة الأسرة بفضل ربها، وفي حياة الأمة بفضل قائدها. وذلك ومن دون شك لن يتأتى إلا باكتمال الصورة التي تنطلق من فهم حقيقة القرآن، واستيعاب الاستراتيجية الإصلاحية لرؤيته ونصوصه، وإدراك حقيقة المحل والقالب الذي تصب فيه في نهاية المقام، والمتمثل فيمن اختصه الله بالخطاب القرآني وهو الإنسان.

وقد جاء هذا البحث للكشف عن أبرز قواعد وأسس بناء الشخصية المسلمة من خلال التدبر، وسبل الاستفادة منها في الارتقاء بالفرد المسلم وتجلية لذلك نحوت **في هذا البحث الخطة الأتية:**

مقدمة:

المحور الأول: مفهوم تدبر القرآن الكريم وأهميته

أولاً: مفهوم التدبر وحقيقته.

ثانياً: معاني التدبر في القرآن الكريم.

ثالثاً: أهمية التدبر.

رابعاً: كيف نتدبر القرآن العظيم.

خامساً: من ثمرات تدبر القرآن.

المحور الثاني: تدبر القرآن الكريم وأثره في بناء الشخصية المسلمة.

أولاً: تدبر القرآن الكريم وأثره في استقامة المسلم:

ثانياً: تدبر القرآن الكريم وأثره على قلب ومشاعر المسلم :

المحور الثالث: الأثر الروحي والنفسي للتدبر في بناء الشخصية المسلمة.

أولاً: الأثر الروحي لتدبر القران الكريم.

ثانياً: الأثر النفسي لتدبر للقرآن الكريم.

ثالثاً: مظاهر تأثير القرآن الكريم في نفوس المتدبرين من أوليائه.

رابعاً: التحذير من هجر تدبر القران الكريم.

خاتمة.

لائحة المصادر والمراجع المعتمدة.

المحور الأول: مفهوم تدبر القرآن الكريم وأهميته

أولاً: مفهوم التدبر وحقيقته:

إن تدبُّر القرآن هو أرفع صور تلاوته وترتيله، التي جاءت نصوص القرآن والسنة ببيان فضلها وثوابها، والتدبر هو الذي يساعد قارئَ القرآن على النهم من خيراته وفضائله.

فالتدبر لغة :دبر الأمر وتدبَّره: نظر في عاقبته، واستدبره: رأى في عاقبته ما لم يرَ في صدره، وعرف الأمر تدبرًا؛ أي: بأَخَرَةٍ... والتدبير في الأمر: أن تنظر إلى ما تؤول إليه عاقبته، والتدبر: التفكر فيه... ويقال: إن فلانًا لو استقبل من أمره ما استدبره، لهدي لوجهة أمره؛ أي: لو علم في بدء أمره ما علمه في آخره، لاسترشد لأمره... والتدبير أن يتدبر الرجل أمره ويدبره؛ أي: ينظر في عواقبه.

التدبر :النظر في دبر الأمور؛ أي: عواقبها، وهو قريب من التفكر، إلا أن التفكر تصرف بالنظر في الدليل، والتدبر تصرفه بالنظر في العواقب

وقال الجرجاني في تعريف التدبر: " عبارة عن النظر في عواقب الأمور، وهو قريب من التفكر، إلا أن التفكرَ تصرفُ القلب بالنظر في الدليل، والتدبر تصرفه بالنظر في العواقب "[١]

إذًا؛ فالتدبر: التفكر، ومادته تدور حول أواخر الأمور وعواقبها، "

فالتدبر هو النظر في عواقب الأمور وما تؤول إليه، ومن هنا نستطيع أن نفهم التدبر، هو التفكر الشامل، الواصل إلى أواخر دلالات الكلم، ومراميه البعيدة."قال الزجاج: " التدبر: النظر في عاقبة الشيء "[٢]

فاعتمادًا على هذا التعريف، يكون التدبر هو: "التفكر باستخدام وسائل التفكير، والتساؤل المنطقي؛ للوصول إلى معانٍ جديدة يحتملها النص القرآني

---

[١] التعريفات: ٥٤.

[٢] انظر: زاد المسير: ٣٠٥ .

وفق قواعد اللغة العربية، وربط الجمل القرآنية ببعضها، وربط السور القرآنية ببعضها، وإضفاء تساؤلات مختلفة حول هذا الربط أو ذاك."

وقد ورد لفظ التدبر على صيغة التَّفعُّل للدلالة على التكلف والتعقب والنظر مرة بعد مرة وكرة بعد كرة لحصول الأثر الناجم عن المجاهدة التي يجعلها المتدبر عنوانا لجهده ونصبه واجتهاده في تحقيق المراد.

ويأتي بمعنى " تحديق ناظر القلب إلى معاني القرآن، وجمع الفكر على تأمُّله وتعقُّله، وهو المقصود بإنزاله لا مجرد تلاوته بلا فهم ولا تدبر"[١]

وقال ابن القيم في موضع آخر في توضيح المراد من التدبر: "وتدبر الكلام أن ينظر في أوله وآخره ثم يعيد نظره مرة بعد مرة، ولهذا جاء على بناء التفعل كالتجرع والتفهم والتبين" كما قال أيضا: "إذا أردت الانتفاع بالقرآن فاجمع قلبك عند تلاوته وسماعه، والق سمعك، واحضر حضور من يخاطبه به من تكلم به سبحانه إليه؛ فإنه خطاب منه لك على لسان رسوله".[٢]

وعلى ذلك، فحقيقة تدبر القرآن: أن يقرأ المسلم كتاب الله بتأمل وتفكر، وعناية وحضور، فيتأمل في أخباره ومواعظه، وأوامره ونواهيه، وأحكامه وآياته، وأن يعزم النية على العمل بما يؤمر، وعلى الانتهاء عما نُهي عنه، وأن يتَّعظ بما فيه من المواعظ والأخبار، ويستحضر ما أخبر الله به عبادَه من أمور المعاد؛

فالخشوع والتدبر هما المقصودان، لا مجرد تلاوته بلا فهم ولا تأمل، وبالخشوع والتدبر تنشرح الصدور، وتستنير القلوب؛ ولذلك أخبر الله جل وعلا أن التذكر والتعقل هو ثمرة التدبر؛ فقال سبحانه :﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٢٩ ﴾ [٣].

---

[١] مدارج السالكين، ج: ١،٤٧٥.

[٢] الفوائد لابن القيم، ص: 95.

[٣] سورة ص الآية ٢٩.

قال الطبري في تفسيرها: يقول تعالى ذكره لنبيّه محمد صلى الله عليه وسلم: وهذا القرآن ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ ﴾ يا محمد ﴿ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ ﴾ يقول: ليتدبروا حجج الله التي فيه، وما شرع فيه من شرائعه، فيتعظوا ويعملوا به.
فعلينا ألاَّ ننسى حظنا من القرآن؛ فإنه أساس الثبات إذا عصفت الفتن، وعلاج الأحزان إذا نزلت المحن، وشفاء إذا نالت منك الأسقام والعلل، وحظك إنما يكون منه أنفع وأوفر

إذا فتحتَ لآيات الله قلبَك وتدبرتها وتأملتها؛ كما قال تعالى :﴿ وَإِذَا مَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٞ فَمِنۡهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمۡ زَادَتۡهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنٗاۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَزَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَهُمۡ يَسۡتَبۡشِرُونَ ١٢٤ ﴾[1].

ثانياً: معاني التدبر في القرآن الكريم:

ورد استعمال الأصل دَبَرَ في القرآن الكريم بصيغ شتى، في آي عدة؛ بلغت أربعًا وأربعين[2] ؛ لا تخرج عن المعاني السبعة التالية،

وقد مثلت لكل معنى بالآية أو الآيتين؛ ليقاس على المثال ما لم أذكر من سائر الآيات.

الأول : الظَّهر، وقد ورد بصيغة المفرد في خمس آيات [3]؛

منها قوله تعالى عن نبيه يوسف عليه السلام :﴿ وَٱسۡتَبَقَا ٱلۡبَابَ وَقَدَّتۡ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٖ ﴾. [4] وقوله تعالى عن التولي عند القتال ﴿ وَمَن يُوَلِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفٗا لِّقِتَالٍ أَوۡ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٖ فَقَدۡ بَآءَ بِغَضَبٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأۡوَىٰهُ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ١٦ ﴾ .[5]

---

[1] سورة التوبة الآية ١٢٤.
(٢) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم: ص ٢٥٢.
(٣) في سورة يوسف (٢٥، ٢٧، ٢٨)، وفي سورة القمر (٤٥)، وفي سورة الأنفال (١٦)، والتوبة (٢٥) .
(٤) سورة يوسف الآية ٢٥.
(٥) سورة الانفال الآية ١٦.

الثاني : الرجوع، وقد ورد في سبع آيات؛ منها قوله تعالى عن موسى عليه السلام :﴿ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ﴾ ، وقوله تعالى :وَاللَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ[١]

الثالث :التولي والعدول، وقد ورد في خمس آيات منها قوله تعالى :﴿ كَلَّآ إِنَّهَا لَظَىٰ ۝١٥ نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ ۝١٦ تَدْعُواْ مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ ۝١٧ ﴾[٢].

الرابع :الأصل والأثر، وقد ورد في أربع آيات منها قوله تعالى :﴿ وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَيَقْطَعَ دَابِرَ ٱلْكَٰفِرِينَ ۝٧ ﴾[٣].

الخامس :آخر الأمر، وقد ورد في موطن واحد هو قوله تعالى :﴿ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَٰرَ ٱلسُّجُودِ ۝٤٠ ﴾[٤]

السادس : التدبير، وقد ورد في أربعة مواطن منها قوله تعالى:﴿ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ۝٢ ﴾[٥].

السابع : التدبر(، وقد ورد في أربع آيات منها قوله تعالى :﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ۝٨٢ ﴾[6].

وهذه المعاني هي التي ذكرها الفقيه الدامغاني في كتابه[٧] ؛

ما عدا السادس، وجعل مكان التولي والعدول: الدين الباطل، ومكان الرجوع: الذهاب، ومكان الأصل والأثر: الغابر، ومكان التدبر: التفكر.

---

[١] المدثر: ٣٣، وهو أيضا في سورة القصص (٣١)، والأنبياء (٥٧)، والصافات (٩٠)، وغافر (٣٣)، والطور (٤٩) .

[٢] المعارج: ١٧، وباقي مواطنه:المدثر (٢٣)، والنازعات (٢٢)، والنمل (٨٠)، والروم (٥٢) .

[٣] الأنفال: ٧، وباقي مواطنه: الأنعام (٤٥)، والأعراف (٧٢)، والحجر (٦٦) .

[٤] سورة ق الآية ٤٠.

[٥] الرعد: ٢، وباقي مواطنه: يونس (٣، ٣١)، والسجدة (٥) .

[6] سورة النساء الآية 82.

[٧] قاموس القرآن: ص ١٧١.

أما الدين الباطل:فمثل له بقوله تعالى :﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرۡتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدۡبَٰرِهِم مِّنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلۡهُدَى ٱلشَّيۡطَٰنُ سَوَّلَ لَهُمۡ وَأَمۡلَىٰ لَهُمۡ ﴿٢٥﴾ ﴾[1]

وهذا المعنى أخص من التولي والعدول؛ لأن الرجوع إلى الأصنام والعكوف على عبادتها مجرد نوع من أنواعه؛ فلا يشمل مثل قوله تعالى عن فرعون: ﴿ ثُمَّ أَدۡبَرَ يَسۡعَىٰ ﴿٢٢﴾ فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ﴿٢٣﴾ ﴾[2]، قال الإمام الشوكاني رحمه الله: "أي تولى وأعرض عن الإيمان (يسعى) أي يعمل بالفساد في الأرض، ويجتهد في معارضة ما جاء به موسى "[3].

وأما معنى الذهاب، فليس كمعنى الرجوع؛ وإن كان سياق الآيات التي ورد فيها يدفع ما بينهما من التباين في اللغة؛ إذ كل رجوع ذهاب، وليس كل ذهاب رجوعًا. قال الإمام الشوكاني –رحمه الله – في بيان معنى قوله تعالى: ﴿ وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصۡنَٰمَكُم بَعۡدَ أَن تُوَلُّواْ مُدۡبِرِينَ ﴿٥٧﴾ ﴾ "أي بعد أن ترجعوا من عبادتها ذاهبين منطلقين[4] "، فجمع بين الذهاب والرجوع في نسق، ويدل على لزوم التخصيص قوله تعالى :﴿ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهۡتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنّٞ وَلَّىٰ مُدۡبِرٗا وَلَمۡ يُعَقِّبۡۚ يَٰمُوسَىٰ لَا تَخَفۡ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ ٱلۡمُرۡسَلُونَ ﴿١٠﴾ ﴾ .

فإن قوله (أقبل) لا يقال إلا للذاهب راجعاً، وأيضا؛ فإن الذهاب: "السير والمرور، أما الرجوع فهو: "المصير إلى الموضع الذي كان فيه قبل، والانصراف[5] "،

ويجوز أيضاً استثناء معنى الهزيمة من عموم معنى الظهر الأول؛ لأنه مجرد صورة له لا تمنع دخول غيره فيه، فالفرق صريح بين قوله تعالى :﴿ وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذۡ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَضۡرِبُونَ وُجُوهَهُمۡ وَأَدۡبَٰرَهُمۡ وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ ﴿٥٠﴾ ﴾ ، وقوله تعالى :﴿ لَن يَضُرُّوكُمۡ إِلَّآ أَذٗىۖ وَإِن يُقَٰتِلُوكُمۡ يُوَلُّوكُمُ

---

[1] سورة محمد الآية ٢٥

[2] سورة النازعات الآية ٢٢.

[3] فتح القدير ٥ / ٥٣٥.

[4] فتح القدير ٣ / ٥٨٢.

[5] الفروق في اللغة: ص ٣٠٠، والقاموس المحيط: رجع.

ٱلْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴿١١١﴾ ﴾ ووجهه أن معنى الظهر في الآية الأولى متعلق بنفس الضارب دبره؛ لا يتعداه، ومعناه في الآية الثانية متعلق بأثر خارجي؛ ألجأ العدو إلى تولية دبره لمن دحره انهزاماً وانفلالاً.

ويؤيده قول الشوكاني رحمه الله –في قوله تعالى :﴿ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ﴾" :–{أي منهزمًا، وانتصاب مدبرًا على الحال.[1] "

ثالثاً: أهمية التدبر:

وتكمن أهمية تدبُّر القرآن الكريم فيما يلي:

١. الامتثال لأمر الله سبحانه وتعالى: فلقد أمرنا بذلك؛ فقال :

﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ ﴾ [٢]﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾ ﴾ [٣] قال البيضاوي في تفسيرها: يتصفَّحونه وما فيه من المواعظ والزواجر؛ حتى لا يجسروا على المعاصي، ﴿ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴾ لا يصل إليها ذِكر، ولا ينكشف لها أمر، وقيل: (أم) منقطعة، ومعنى الهمزة فيها التقرير، وتنكير القلوب لأن المراد قلوب بعض منهم، أو للإشعار بأنها لإبهام أمرها في القساوة، أو لفرط جهالتها ونكرها، كأنها مبهمة منكورة، وإضافة الأقفال إليها؛ للدلالة على أقفال مناسبة لها، مختصة بها، لا تُجانس الأقفال المعهودة[٤].

٢. كذلك أهمية التدبر في أنه سبب لشحن النفوس نحو الخير، والبُعد عن الشر، فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يكرر الآية الواحدة مرات ومرات، ويقلِّبها ويتفكر فيها؛ إذ ليس هناك فائدة في أن يكرر الإنسان آية عشرات

---

[1] فتح القدير ٤ / ٢٣٩.

[٢] سورة النساء الآية ٨٢.

[٣] سورة محمد الآية ٢٤.

[٤] تفسير البيضاوي" ٥/ ١٩٤، ١٩٥.

المرات إذا لم يكن فيها تقليب الآية والتفكر فيها، وكثير من الصحابة والصالحين كانوا يكررون كثيرًا من الآيات يتفكرون، وينظرون، ويعتبرون.

٣. والتدبر يعني الاهتمام، ثم التطبيق والممارسة، وهي النقطة الأهم في حياة الأمة، فإذا تدبرنا القرآن، نقلناه إلى حقول الممارسة، وميادين السلوك.

٤. –ومن أهمية التدبر أنه سبب في تغيير حياة كثير من الناس، فقيمة القرآن الحقيقية في قدرته على التغيير، وهذا بلا شك يستدعي فهم معانيه، والتأثر بها، والعمل بمقتضاها، وفي مقدمة من غيَّر القرآنُ حياتَهم صحابةُ رسول الله، الذين كانوا يسمعون القرآن فيقولون: والله إنه ليس بقول البشر، وما هي إلا لحظات تفكر وتدبر قليلة، حتى يدخل ذلك الرجلُ في الإسلام دون تردُّد، وحينما كانوا يقرؤونه للتلاوة أو في صلاتهم، كانوا يقفون عند آياته وقوفًا طويلاً؛ لطلب الهداية علمًا وعملاً، يقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه: لا يغرركم من قرأ القرآن، إنما هو كلام نتكلم به؛ ولكن انظروا من يعمل به[١]

وإن أردت مثالاً لطريقة الصحابة في قراءة القرآن، فإليك هذا الأثرَ: عن أبي ذئب رحمه الله عن صالح قال: كنت جارًا لابن عباس رضي الله عنهما وكان يتهجد من الليل فيقرأ الآية، ثم يسكت قدر ما حدثتك، وذاك طويل، ثم يقرأ، قلت: لأي شيء فعل ذلك؟ قال: من أجل التأويل، يفكر فيه[٢] ويقول عباد بن حمزة: دخلت على أسماء رضي الله عنها وهي تقرأ :﴿ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ۝٢٧ ﴾[٣] ، فوقفتْ عندها تعيدها وتدعو، فطال عليَّ ذلك، فذهبتُ إلى السوق فقضيت حاجتي، وهي تعيدها وتدعو[٤].

---

(١) اقتضاء العلم العمل"، للخطيب البغدادي، ص٧١،

(٢) مختصر قيام الليل"، لمحمد بن نصر المروزي، ص١٤٩،

(٣) سورة الطور الآية ٢٧.

(٤) "مختصر قيام الليل" ص١٤٩.

رابعاً: كيف نتدبر القرآن العظيم:

روى الإمام مسلم: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (إن الله ليرفع بهذا الكتاب أقوامًا، ويضع به آخرين) [1].

ما من شك في أن رفعة السلف الصالح كانت مصداقًا للشق الأول من هذا الحديث، وبسبب التصاقهم بالقرآن الكريم فهمًا وتطبيقًا وحسن تدبر؛ رفعهم الله سبحانه.

وما من شك في أن سبب المذلة التي نعانيها اليوم هو مصداق للشق الثاني من الحديث، حيث ابتعدنا عن القرآن الكريم فهمًا وتطبيقًا وتدبرًا، فتداعتْ علينا الأمم، أو قاربنا أن نصل إلى هذه الحال.

لذا كان لزامًا علينا – إن كنَّا نريد لأمَّتنا أن تستعيد مجدها وشهودها الحضاري أن نعيد تنظيم علاقتنا مع القرآن الكريم، وفق المنهج الذي ارتضاه الله لنا،

وهذا المنهج يكمن في قوله تعالى :

﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾ ﴾ [2].

ويكمن أيضاً في علاقة الرسول الكريم مع القرآن، فقد كان – عليه السلام – قرآنًا يمشي على الأرض، والصحابة – رضوان الله عليهم – كانوا لا يتعلَّمون الآية، حتى ينتهوا من الآية التي سبقتها فهمًا وتدبرًا، فانعكس ذلك على سلوكهم وحياتهم؛ فلذلك رفعهم الله به.

وسار التابعون على ذلك، فارتقوا وارتفعوا، وجعلهم الله سادة للأمم، بعد أن كانوا رعاة للغنم، ثم خلف من بعدهم خَلْف، وجاءت أقوام جعلت العلاقةَ بينها وبين القرآن على غير الذي كانت عليه، وما زالت الهوة تتباعد، حتى

---

[1] أخرجه مسلم كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل من يقوم بالقرآن ويعلمه، برقم ١٨٩٤، وأحمد في مسنده، كتاب مسند عمر بن الخطاب، باب مسند عمر بن الخطاب، برقم ٢٣٤.

[2] سورة محمد الآية ٢٤.

وصل المسلمون إلى ما هم عليه الآن، وتنحَّت فكرة التدبر للقرآن جانبًا عند أكثر الناس لأسباب مختلفة، وتنحى بعدها الاهتمام بالدين شيئًا فشيئًا.

وحتى نعيد علاقتنا مع القرآن الكريم؛ فلا بد من التدبر والمسلم اليوم لا ينقصه شيء مثل ما ينقصه الاهتمام بدينه وقرآنه.

والسؤال ما الطريق التي توصلنا إلى التدبر؟

إن هناك بعض الأمور التي إن حققناها، تدبَّرنا القرآن تدبرًا حقيقيًّا، ومنها:

الاهتمام بلغة القرآن: فالقرآن الكريم نزل باللغة العربية؛ قال الله تعالى : ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝٢ ﴾ وقال:﴿ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا ﴾[1].

فتلك أول خطوة في طريق تصحيح علاقتنا مع القرآن الكريم، فمَن يريد أن يتعامل مع القرآن، فلا بد أن يتفهم لغته، ويعتني بممارستها، ويتعرف على أساليبها، ويتذوق معانيَها، ويدرك مراميَها.

الاهتمام بالصحيح من تفسير القرآن الكريم: ذلك أن النبي عليه السلام هو الناقل عن الله، وهو المبين للقرآن

الاهتمام بالتلاوة الصحيحة، والفهم الصحيح، والتطبيق السليم.

خامساً :من ثمرات تدبر القرآن:

إن لتدبُّرِ القرآن شأنًا عظيمًا، فهو مادة حياة القلب، وانشراح الصدر، وتجدد الإيمان؛ قال تعالى :﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ۝٩ ﴾[2]

- **صلاح القلب:** فتدبُّر القرآن شفاء من الشبهات والشهوات، وهو من أعظم وسائل الثبات، فبه تطمئن القلوب وتسكن، وبه تقر الأعين، وقد جمع

---

[1] سورة طه: ١١٣ الآية.

[2] الإسراء: الآية ٩.

ابن القيم رحمه الله ثمرات تدبر القرآن اليانعة، فقال: "فلا شيء أنفع للقلب من قراءة القرآن بالتدبر والتفكر؛ فإنه جامع لجميع منازل السائرين، وأحوال العالمين، ومقامات العارفين، وهو الذي يورث المحبة والشوق، والخوف والرجاء، والإنابة والتوكل، والرضا والتفويض، والشكر والصبر، وسائر الأحوال التي بها حياة القلب وكماله، وكذلك يزجر عن جميع الصفات والأفعال المذمومة التي بها فساد القلب وهلاكه.

فلو علم الناس ما في قراءة القرآن بالتدبر، لاشتغلوا بها عن كل ما سواها، فإذا قرأه بتفكُّر حتى إذا مرَّ بآية وهو محتاج إليها في شفاء قلبه، كررها ولو مائة مرة، ولو ليلة، فقراءة آية بتفكر وتفهم خيرٌ من قراءة ختمة بغير تدبر وتفهم، وأنفع للقلب، وأدعى إلى حصول الإيمان، وذوق حلاوة القرآن، فقراءة القرآن بالتفكر هي أصل صلاح القلب[1].

- **صلاح العمل:**

فإن الجوارح للقلب تبع، فإذا خشع القلب للحق، وشفي من الأمراض والأسقام بتدبُّر القرآن، انساقتْ لأوامره الجوارحُ، وظهر ذلك صلاحًا في العمل؛ كما قال صلى الله عليه وسلم: (ألا وإن في الجسد مضغة، إذا صلَحَتْ، صلح الجسدُ كلُّه، وإذا فسَدَتْ، فسد الجسد كله، ألا وهي القلب)[2].

ويقول ابن القيم رحمه الله: ليس شيء أنفع للعبد في معاشه ومعاده، وأقرب إلى نجاته – من تدبُّر القرآن، وإطالة التأمل فيه، وجمع الفكر على معاني آياته؛ فإنها... تثبت قواعد الإيمان في قلبه، وتشيد بنيانه، وتُقعد أركانه، وتُريه صورة الدنيا والآخرة والجنة والنار في قلبه، وتحضره بين الأمم، وتريه أيام الله فيهم،

---

[1] "مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية أهل العلم والإرادة"، ص٢٢١..

[2] صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب فضل من استبرأ لدينه، برقم ٥٢، وصحيح مسلم كتاب المساقاة، باب أخذ الحلال وترك الشبهات، برقم ٤٠٧٠.

وتبصره مواقع العِبر، وتشهده عدل الله وفضله،... وتعطيه فرقانًا ونورًا يفرق به بين الهدى والضلال، والغنى والرشاد، وتعطيه قوة في قلبه، وحياة وسعادة وانشراحًا وبهجة وسرورًا، فيصير في شأن، والناس في شأن آخر.

كما يقول رحمه الله أيضًا: فإذا حصل المؤثِّر، وهو القرآن، والمحل القابل، وهو القلب الحي، ووُجد الشرط، وهو الإصغاء، وانتفى المانع، وهو اشتغال القلب وذهوله عن معنى الخطاب، وانصرافه عنه إلى شيء آخر – حصل الأثر، وهو الانتفاع والتذكر[1].

[1] "الفوائد" ص١٢٣، لابن القيم الجوزية،

المحورالثاني: تدبر القرآن الكريم
وأثره في بناء الشخصية المسلمة

هناك آثار كثيرة جدًّا تعودُ على الفرد المسلم المتدبر للقرآن الكريم لاتعد ولاتحصى، لذا سنُحاول أن نستخرج بعضا من هذه الاثار من خلال النظر في آياتِ القرآن الكريم، وفي سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي أنزل عليه هذا الكتاب الحكيم، وفي بعض المصنفات والمراجع التي لها صلة مُباشرة بالكتاب والسنة وبهذا الموضوع ومن هذه الأثار :

أولاً: تدبر القرآن الكريم وأثره في استقامة المسلم:

أول وأهم آثار لتدبر القرآن الكريم: الاستسلام لله تعالى بالتوحيد، والانقياد له بالطَّاعة، والخلوص له من الشِّرك.

فلا يُعبد إلاَّ الله تعالى وحْدَه لا شريكَ له، ولا يُرجى سواه، ولا يُخاف إلاَّ منه، فلا نافعَ إلاَّ هو عزَّ وجلَّ ولا ضارَّ إلا هو وحْدَه، فلا يتعلق بولي – كائنًا من كان – ليجلبَ نفعًا، أو يدفع ضرًّا فيما لا يقدر عليه إلا الله تعالى وحده .

كذلك من الآثارِ الإحسان بمراقبة الله تعالى وحْدَه، فمرتبة المراقبة تدفعُ صاحبها إلى عمل كلِّ خير، والابتعاد عن كل شر؛ أملاً في وعد الله تعالى وخوفًا منه ومِنْ وعيده – عزَّ وجل، سبحانه وبحمده.

إذًا؛ فأهم الآثار وأوَّلها: الإيمان بالله والتصديق بوعده ووعيده، والعمل بهذا الكتاب والدعوة إليه، والصَّبر على الأذى في ذلك، ولا شكَّ أن أثر ذلك هو سعادة الدُّنيا والآخرة؛ لأنَّ المشتغل بالقرآن الكريم هو مَنِ اتَّقى الله تعالى ولا يسعد في الدُّنيا والآخرة إلا من اتقى الله تعالى قال الله عَزَّ وجل :﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمۡرِهِۦۚ قَدۡ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيۡءٖ قَدۡرٗا ۝٣ ﴾[1].

[1] سورة الطلاق: الآية ٢ – ٣.

وفي نَفْس السُّورة يقول سبحانه أيضًا :﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مِنۡ أَمۡرِهِۦ يُسۡرٗا ۝٤ ﴾[1] وقال أيضًا :﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرۡ عَنۡهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعۡظِمۡ لَهُۥٓ أَجۡرًا ۝٥ ﴾[2].

فالقرآنُ له أثر عظيم في استقامة العبد المشتغل به؛ ذلك لأنَّه يعيشُ به دومًا، يقوم وينام وهو يتفكر فيه وفي أوامره ونواهيه، فهو يستولي على مَشاعره وأحاسيسه، فيغير مجرياتها، ويُحول طريقها إلى الأفضل، كما أنَّه يعظه ويذكره، ويكشف له حقيقة نفسه وأصلها، فيشعرها بما عندها من أمراض، ويُقدم لها ما يشفيها من تلك الأمراض،

كما أنَّ القرآن ينير لصاحبه طريقَ الوصول إلى رَبِّه، فيهديه ويَجعله يخشاه بالغَيْب، يرغبه في ثَوابه وجَنَّته، ويُحذره من عقابه وناره.

ثانياً: تدبر القرآن الكريم وأثره على قلب ومشاعر المسلم:

القرآن إذا أخلص له صاحبه لا بُدَّ أنَّه سيحدث تحولاً في قلبه، وشاهد ذلك أنَّه بعد بيعة العقبة أرسل صلَّى الله عليه وسلَّم مصعبَ بنَ عمير إلى يثرب، ومعه ما معه من القرآن، فماذا حدث؟

دخل النُّور قلوبَ أهل يثرب، فامتلأتْ بالإيمان، وتغيَّرت التصورات والاهتمامات وتوحد الفرقاء، واجتمعوا جميعًا على كلمة واحدة، وتَمسَّكوا بحبل الله المتين – وهو القرآن – فكان منهم ما كان من المستوى العجيب في البَذْل والتضحية والإيثار، كل ذلك حدث قبل مجيئه صلى الله عليه وسلم إليهم، والدليل على ذلك ما فعلوه مع إخوانهم المهاجرين من تكافُلٍ وإيثار في الدُّور والأموال والثِّمار، مع فقرهم وشِدَّة حاجتهم، وما كان هذا ليحدث لولا المستوى الإيماني الراقي الذي وصلوا إليه من خلال القرآن.

---

[1] سورة الطلاق: الآية ٤.

[2] سورة الطلاق: الآية ٥.

فقيمة القرآن الحقيقية في قُدرته على التغيير، وهذا بلا شك يستدعي تدبره وفهم معانيه، والتأثر بها، والعمل بمقتضاها، فالقرآن هو رُوح القلوب التي تَحيا به سلامَتُها وزكاتها منه.

فمَن تدبر القرآن الكريم، فقد نُفخت فيه روح الهداية والتوفيق لكل خير، وقد استنار بالنُّور الذي يبددُ ظلام الجهل، ويهدي صاحبه إلى سواء الصِّراط.

قال سبحانه وتعالى:﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلۡنَٰهُ نُورٗا نَّهۡدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنۡ عِبَادِنَاۚ وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٥٢ ﴾[1].

قال الطبري: وكما كُنَّا نوحي في سائر رسلنا، كذلك أوحينا إليك – يا محمد – هذا القرآن روحًا من أمرنا، يقول: وحيًا ورحمةً من أمرنا، واختلفَ أهلُ التأويلِ في معنى الرُّوح في هذا الموضع، فقالَ بعضهم: عَنِي به الرحمة،

وقال آخرون: معناه وحيًا من أمرنا، وقوله :﴿ مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ ﴾ [2]،

يقول جلَّ ثناؤه لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: ما كنت تدري – يا محمد – أيّ شيء الكتاب ولا الإيمان اللذين أعْطَيْناكهما؛ ﴿ وَلَٰكِن جَعَلۡنَٰهُ نُورٗا ﴾، يقول: ولكن جعلنا هذا القُرآن وهو الكتاب نورًا؛ يعني: ضياء للناس يستضيؤون بضَوْئه، وهو بيانه الذي بيَّن فيه مِما لهم فيه: في العَمَل به الرَّشاد، ومن النار النجاة، نهدي به من نشاء من عبادنا،

يقول: نهدي بهذا القرآن، فالهاء في قوله :﴿ بِهِۦ ﴾مِنْ ذكر الكتاب، ويعني بقوله :﴿ نَّهۡدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ ﴾ نُسدد إلى سبيل الصَّواب وذلك الإيمان بالله مَن نشاء من عبادنا، يقول: نهدي به مَن نشاء هدايته إلى الطريق المستقيم من

---

[1] سورة الشورى: الآية ٥٢ .

[2] سورة الشورى: الآية ٥٢.

عبادنا [١].فكما أنَّ الروحَ إذا دخلتِ الأبدانَ حرَّكتها وأحيتها، كذلك القُرآن إذا دخل القلوب، فإنَّه يُحييها ويحركها لخشية الله ومَحبته، أمَّا إذا خلت القلوبُ من القرآن، فإنَّها تموت، كما أنَّ الجسمَ إذا خَلاَ من الروح، فإنه يموت[٢].والقرآنُ يُشعرنا بضآلة ما نقدمه من أعمال، ويظهر ذلك من خلال عرضه الدائم لعباد الكون وما فيه من مخلوقات لله عزَّ وجلَّ كقوله تعالى : ﴿ فَإِنِ ٱسۡتَكۡبَرُواْ فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمۡ لَا يَسۡـَٔمُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾ [٣]، وقوله :﴿ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفۡتُرُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾[٤].

والقرآن يكشف للإنسان حقيقةَ أصله الحقير، ومدى ضَعْفه وعَجْزه، وجهله وحجم احتياجاته المطلوبة للاستمرار في الحياة، وأنَّه بالله لا بنفسه، ولو تخلَّى عنه طرفة عين، لهلك.

ومع بيانِ هذه الحقيقة فإنَّه كذلك يعرفه بطبيعة نفسه المحبة للشَّهوات، المائلة للفجور والطغيان، الآمرة بالسوء؛ ليشتد حَذَرُه منها، فلا ينسب لها فضلاً، بل يجاهدها، ويروضها على الصدق والإخلاص.

فإذا ما ربط العبدُ بين هذه المعارف وبين ما يحدث له في حياته، تأكدَّت لديه حقيقة نفسه، وعاش عبدًا ذليلاً منكسرًا لله متحررًا مما سواه.

كذلك القُرآن يُحذِّرنا من عاقبة العُجب والكِبْر والغُرُور، ويعرض الكثير من نماذج الذين استسلموا لهذه الأمراض، فأهلكتهم، كإبليس وقارون وفرعون وصاحب الجنتين.

من هنا تتَّضح لنا أهمية القرآن في استقامة العبد على أمر الله، وتَحَلْبُبِه الدَّائم بجلباب العبودية له.

---

[١] تفسير الطبري"، ٢٥/ ٤٦.

[٢]" بشراكم يا أهل القرآن"، ص٥، كتيب من إعداد القسم العلمي بدار الوطن بالرياض، عن "تدبر القرآن"، لفضيلة الشيخ صالح الفوزان.

[٣]سورة فصلت: الآية ٣٨.

[٤]سورة الأنبياء: الآية ٢٠.

أمَّا عن سيطرة القُرآن على المشاعر، فإن كنت في شك من قُدرة القرآن على الهيمنة على مَشاعر الإنسان والسَّيطرة عليها، فسل نفسك: لماذا ظل عبدالله بن مسعود رضي الله عنه يُردِّد قول الله تعالى :﴿ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡحَقُّۗ وَلَا تَعۡجَلۡ بِٱلۡقُرۡءَانِ مِن قَبۡلِ أَن يُقۡضَىٰٓ إِلَيۡكَ وَحۡيُهُۥۖ وَقُل رَّبِّ زِدۡنِي عِلۡمٗا ١١٤﴾[1] في ليلةٍ حتَّى أصبح؟ ولماذا استمر عمر بن الخطاب رضي الله عنه يردد في الفاتحة طيلة الليل؟[2] وغيرهم وغيرهم.

إنَّها حلاوة الإيمان، وخشوع القلب، ولَذَّة القرب الحقيقي من الله، والشعور بالتغيير الذي يَحدث لهم كلما ردَّدوا الآية التي تحركت معها قلوبهم، فهل مَن يعيش في هذه الأجواء، ويرى النور بعينه، يعود إلى الوراء، ويستبدل الذي هو أدنى بالذي هو خير، فيقرأ القرآن بلسانه وهو غافل عنه؟!

من هنا ندرك أثر تدبر القرآن كمنهج أساسي للتغيير الذي حدث لجيلِ الصَّحابة رضوان الله عليهم.

القرآن باعث على خشية الله والفزع إلى ذكره:

وهذا أثر إيماني مُهم؛ لأنَّه يبعث على استقامة العبد في شتى أموره، وفي كل تصرفاته؛ قال سبحانه :﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمۡ وَقُلُوبُهُمۡ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهۡدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٖ ٢٣﴾[3].

قال ابن كثير: هذا مدح من الله عزَّ وجلَّ لكتابه القرآن العظيم المنَزَّل على رسوله الكريم.[4].

وقال الشيخ عبدالرحمن السعدي: فأحسن الحديث كلام الله، وأحسن الكتب

---

[1] سورة طه: الآية ١١٤.

[2] "فضائل القرآن"، لأبي عبيد، ص١٤٧.

[3] سورة الزمر: الآية ٢٣.

[4] "تفسير القرآن العظيم"، لابن كثير، ٤/ ٥٥،

المنزلة من كلام الله هذا القرآن، وإذا كان هو الأحسن، عُلِمَ أنَّ ألفاظه أفصح الألفاظ وأوضحها، وأن معانيَه أجلّ المعاني؛ لأنَّه أحسن الحديث في لفظه ومعناه، متشابهًا في الحسن والائتلاف وعدم الاختلاف بوجه من الوجوه، حتى إنَّه كلما تدبره المتدبر، وتفكر فيه المتفكر، رأى من اتفاقه حتى في معانيه الغامضة ما يَبْهَرُ الناظرين، ويجزم أنَّه لا يَصْدُرُ إلاَّ من حكيم عليم.[1].

[1]"تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان":السعدي ٦/ ٤٦٣ – ٤٦٤.

المحور الثالث: الأثر الروحي والنفسي للتدبر في بناء الشخصية المسلمة

أولاً: الأثر الروحي لتدبر القران الكريم

ويقصد به: التأثير العظيم للقرآن الكريم في نفوس سامعيه ومتدبريه ممن يتقنون لغة القرآن الكريم، وما تشعر به تلك النفوس من الحلاوة واللذة والرغبة والرهبة، فلا يعرف كتاب في الدنيا كلها له من الأثر على تاليه ومستمعه كما لهذا القرآن الكريم (١).

ولعل أول من نبه على هذا الاثر الروحي –كوجه من وجوه إعجاز القرآن الكريم– هو الخطابي في رسالته: بيان إعجاز القرآن (٢) حيث قال: "قلت في إعجاز القرآن وجهاً آخر ذهب عنه الناس، فلا يكاد يعرفه إلا الشاذ من آحادهم، وذلك صنيعه بالقلوب وتأثيره في النفوس، فإنك لا تسمع كلاماً غير القرآن، منظوماً ولا منثوراً إذا قرع السمع خلص له إلى القلب من اللذة والحلاوة في حال، ومن الروعة والمهابة في أخرى ما يخلص منه إليه، تستبشر به النفوس، وتنشرح له الصدور، حتى إذا أخذت حظها منه عادت مرتاعة قد عراها الوجيب والقلق، وتغشاها الخوف والفرق، تقشعر منه الجلود، وتنزعج له القلوب، يحول بين النفس وبين مضمراتها وعقائدها الراسخة فيها، فكم من عدو للرسول صلى الله عليه وسلم من رجال العرب وفتاكها أقبلوا يريدون اغتياله وقتله، فسمعوا آيات من القرآن، فلم يلبثوا حين وقعت في مسامعهم أن يتحولوا عن رأيهم الأول، وأن يركنوا إلى مسالمته، ويدخلوا في دينه، وصارت عداوتهم موالاة، وكفرهم إيماناً".

نعم: لقد كان للقرآن الكريم أثره الكبير في نفوس محبيه وشانئيه، غير أن محبيه لا يملكون منع أثره على نفوسهم، فعن عبد الله بن عروة بن الزبير قال:" قلت

---

(١)"إعجاز القرآن الكريم" فضل حسن عباس, سناء فضل عباس (ص: ٣٤٥).

(٢)"بيان إعجاز القرآن"، الخطابي، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن (ص: ٧٠)،

لجدتي أسماء بنت أبي بكر: كيف كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا سمعوا القرآن؟ قالت: تدمع أعينهم، وتقشعر جلودهم كما نعتهم الله" (١).

وكان أبو بكر الصديق رضي الله عنه إذا صلى في بيته يقف عليه نساء المشركين وأبناؤهم وهم يتعجبون منه ينظرون إليه، وكان رجلاً بكاء لا يملك دمعه حين يقرأ القرآن الكريم(٢).

يقول ابن القيم: "برز القرآن – في رونق الجمال والجلال في أعدل ميزان من المناسبة والاعتدال، ولذلك يقع في النفوس عند تلاوته وسماعه من الرَّوعة، ما يملأ القلوب هيبة، والنفوس خشية، وتستلذ الأسماع، وتميل إليه بالحنين الطباع، سواء كانت فاهمة لمعانيه أو غير فاهمة، عالمةً بما يحتويه أو غير عالمة، كافرة بما جاء به أو مؤمنة..." (٣).

وهذا الذي ذكره ابن القيم قريب من الذي ذكره الخطابي إلا أنه يلاحظ فيه أن ابن القيم لم يقيِّد تأثير القرآن بمن يفهم العربية، وذكر أن القرآن يؤثر في النفوس سواء أكانت فاهمةً لمعانيه أم غير فاهمةٍ، عالمة بما يحتويه أم غير عالمة، فتأثيره لا يرتبط بفهمه عند ابن القيم،

ومع هذا التصريح من ابن القيم فإننا نجد أنه جعل الحلاوة واللذة التي تنفذ في المرء عند سماع القرآن الكريم تكون آكد وأقوى إذا كان المرء عالماً بلغة العرب متدبرا لمعانيه ، فتأثير القرآن الكريم عامٌ في من فهم العربية أو لم يفهمها إلا أن الوقوف على إعجاز القرآن الكريم، وملاحظة فضل القرآن الكريم على سائر كلام العرب لا يكون إلا لمن كان عالماً بلغة العرب، متقناً لها، محيطاً بفنون القول فيها، ولهذا نصّ ابن القيّم على هذا المعنى بقوله: "وإنما يعرف فضل

(١) البيهقي، (٣٦٥/٢) رقم (٢٠٦٢)،.

(٢) البيهقي، شعب الإيمان، فصل: في البكاء عند قراءة القرآن (٣٦٤/٢) رقم (٢٠٥٥).

(٣) "الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان" ابن القيم ، (ص: ٩)

القرآن من عرف كلام العرب، فعرف علْم اللغة، وعلم العربية، وعلم البيان، ونظر في أشعار العرب وخطبها..، فإذا علم ذلك، ونظر في هذا الكتاب العزيز، ورأى ما أودعه الله سبحانه فيه من البلاغة، والفصاحة..."(١)، بعدها قال: "ولذلك يقع في النفوس عند تلاوته، وسماعه من الروعة ما يملأ القلوب هيبة...".

أما قول الخطابيّ فيلاحظ فيه أن الخطابيّ لم ينص على أن تأثير القرآن الكريم يمكن أن يكون في غير الفاهمين للغة العرب، كما أنه لم يذكر الإعجاز الروحي إلا بعد أن استعرض في مقدمة رسالته تلك الكلام عن بلاغة القرآن، وما حواه من أجناس الكلام، وأكد إعجاز القرآن من هذا الجانب بقوله: "واعلم أن القرآن إنما صار معجزاً لأنه جاء بأفصح الألفاظ، في أحسن نظوم التأليف، مضمّناً أصح المعاني" (٢).

ومن هنا: فإنه يفهم من قول الخطابيّ أن تأثير القرآن الكريم في مستمعيه مرتبطٌ بفهم العربية خلافاً لابن القيم، وما ذكره ابن القيم أقوى وأرجح، فقد أكّدت الدراسات والتجارب التي أُجريت على غير الناطقين بالعربية تأثرهم بسماع القرآن الكريم، وسيأتي بيان ذلك بعد قليل.

ثانياً: الأثر النفسي لتدبر للقرآن الكريم:

اختلفت أقوال الباحثين في تحديد مفهوم الأثر النفسي حيث إنه يتداخل مع الأثر الروحي، فهناك من لم يفرق بينهما فجعل للأثر النفسي جانبين؛ أولهما: الحديث عن النفس الإنسانية، وبيان صفاتها، وكشف خباياها، وخفاياها، وثانيهما: تأثير القرآن في النفس الإنسانية مؤمنةً كانت أو كافرة، وما ينتج عن هذا التأثير في النفس من نتائج وثمرات. وممن فرَّق بينهما د.

(١) المرجع السابق، (ص: ٩).

(٢)"بيان إعجاز القرآن"، الخطابي، (ص: ٢٧).

فضل عباس الذي نص على الفرق بينهما عادّاً الأثر الروحي: تأثير القرآن العظيم في النفوس، أما الأثر النفسي فعرفه بقوله: "الإعجاز النفسي هو ما نلمحه في تلك الآيات وهي تتحدث عن أصناف الناس، ومواقفهم ومشاعرهم، وما يفرحهم، وما يحزنهم، ما نجده من بيان لمكنونات النفس وخفاياها، ودوافعها....، فإنك لتقرأ الآية من القرآن الكريم، وإذا بها تصور نفسية أولئك الذين تتحدث عنهم صورة واضحة المعالم، بينة الاتجاه، لا تهمل جزئية، ولا تنسى مشهداً" (١). ومع أنني أتفق مع د. فضل عباس، فالقرآن كما قال: تحدث عن مكنونات النفس وخفاياها بصورة معجزة، وذلك لأن الله تعالى هو خالق البشر، وهو أعلم بحال نفوسهم وسجاياهم، فهو خير من يصفها، ويصورها، ويتكلم عنها، وسنتكلم عن ا الأثر النفسي من جانب آخر نفرّق على أساسه بينه وبين الأثر الروحي ألا وهو: أن الأثر النفسي هو ما يحدثه القرآن الكريم من تغيرات فسيولوجية إيجابية في النفس الإنسانية من سكون، وطمأنينة، وراحة نفسية، تبدد القلق والخوف، وتجلب السكون والأمن، انطلاقاً من قوله عز وجل: ﴿ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ﴾ (٢) ، وقوله عز وجل ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾ ﴾ (٣) ، قال القرطبي: "اختلف العلماء في كونه شفاء على قولين: أحدهما: أنه شفاء للقلوب بزوال الجهل عنها وإزالة الرّيب...، الثاني: شفاء الأمراض الظاهرة" (٤).

(١)" إعجاز القرآن " فضل حسن عباس (ص:٣٤٤).
(٢)سورة الرعد: الآية ٢٨.
(٣)سورة الإسراء: ٨٢.
(٤) "الجامع لأحكام القرآن"، القرطبي، (٣١٦/١٠)،

وجمع القرطبي بين القولين عند تفسيره لقوله تعالى:﴿ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ هُدًى وَشِفَآءٌ﴾ [1]

حيث قال:" إعلم أن القرآن هدىً وشفاء لكل من آمن به من الشك والريب والأوجاع"[2].

وقد أثبتت بعض الدراسات أن تأثير القرآن يكون في من آمن أو لم يؤمن، فهم اللغة العربية أو لم يفهمها، وتوسع بعضهم في جانب البحث فيه، فجعل تأثيره يشمل النبات، والجماد أيضاً.

أما الأثر الروحي فهو انبهار يحدثه سماع القرآن الكريم، ولا يكون إلا لمن خَبِر لغة العرب، وسلك مسالكهم في مجاري الخطاب، وهو يشمل المؤمن وغير المؤمن بشرط أن يكون فاهماً للغة القرآن.

ثالثاً: مظاهر تأثير القرآن الكريم في نفوس المتدبرين من أوليائه:

لقد أثّر القرآن الكريم في نفوس المتدبرين من أوليائه تأثيراً عظيماً، وفيما أسلفنا من صور مَن آمن بعد كُفر كان عليه مثالاً جليّاً لثلّة من خير جنود الإسلام ودعاته من يوم أسلموا، بل من ساعة أسلموا،

وثمّ ستّة مظاهر لهذا التأثير:

المظهر الأول: تنافسهم في حفظه وقراءته في الصلاة وفي غير الصلاة، حتى لقد طاب لهم أن يهجروا لذيذ منامهم من أجل تهجدهم به في الأسحار، ومناجاتهم العزيز الغفار، وما كان هذا حالاً نادراً فيهم، بل ورد أن المار على بيوت الصحابة بالليل كان يسمع لها دوياً كدوي النحل بالقرآن.

المظهر الثاني: عملهم به وتنفيذهم لتعاليمه في كل شأن من شؤونهم تاركين كل ما كانوا عليه مما يخالف تعاليمه ويجافي هدايته؛ طيبةً بذلك نفوسهم ، طيّعةً

---

[1] سورة فصّلت: الآية ٤٤.

[2] المرجع السابق (١٥/٣٦٩)، البرهان في علوم القرآن (١/٤٣٤-٤٣٦).

أجسادهم، سخية أيديهم وأرواحهم، حتى صهرهم القرآن في بوتقتهِ وأخرجهم للعالم خَلقاً آخر مستقيم العقيدة، قويم العبادة، طاهر العادة، كريم الخُلُق، نبيل المطمح.

المظهر الثالث: استبسالهم في نشر القرآن والدفاع عنه وعن هدايته، فأخلصوا لهُ وصدقوا ما عاهدوا الله عليه، فمنهم من قضى نحبه وهو مدافع عنه، ومنهم من انتظر حتى أتاه اليقين، وهو مجاهدٌ في سبيله ومضحٍ بنفسه ونفيسه.

وقد بلغ الأمر إلى حدّ أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يردّ بعض مَن يتطوعوا بالجندية من الشباب لحداثة سنّهم، ومن ذلك أنه عليه الصلاة والسلام أجاز يوم أُحد سَمُرة بن جُندب الفزاريّ، ورافع بن خديج أحد بني حارثة، وهما ابنا خمس عشرة سنة، وكان قد ردّهما، فقيل له: يا رسول الله إن رافعاً رامٍ، فأجازه، فلمّا أجاز رافعاً قيل له: يا رسول الله فإنّ سَمُر يصرعُ رافعاً، فأجازه، وردّ رسول الله صلى الله عليه وسلم أسامة بن زيد، وعبد الله ابن عمر بن الخطاب، وزيد بن ثابت، والبراء بن عازب وغيرهم، ثم أجازهم يوم الخندق وهم أبناء خمس عشرة سنة(١) . وكان الشباب يحزنون إذا أُقصوا عن ميدان القتال لحداثة سنّهم ويتألّمون لحرمانهم من ثواب الجهاد في سبيل الله. وكان كثير من ذوي الأعذار يُؤلمهم التخلّف عن الغزوة حتى يضطرّ الرسول صلى الله عليه وسلم أن يتخلّف معهم جبراً لخاطرهم، أخرج البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: "سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: والذي نفسي بيده لولا أن رجالاً من المؤمنين لا تطيب أنفسهم أن يتخلّفوا عني ولا أجد ما أحملهم عليه، ما تخلّفت عن سريّة تغدو في سبيل الله، والذي نفسي

(١) "السيرة النبوية " ابن هشام، (٣/٧٤).

بيده لوددت أن أُقتَل في سبيل الله، ثم أحيا، ثم أُقتَل، ثم أحيا، ثم أُقتَل، ثم أحيا، ثم أُقتَل"(١).

المظهر الرابع: ذلك النجاح الباهر الذي أحرزه القرآن في هداية العالم ، وهذه النهضة الرائعة التي أحدثها سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم في العقيدة والأخلاق، وفي العادات والمعاملات، وفي السياسة والإدارة، وفي كافة نواحي الإصلاح الإنساني ويقول الزرقاني(٢):

وهذا ما دعا أحد فلاسفة فرنسا أن يذكر في كتاب له: ما زعمه أحد النصارى من أن محمداً لم يأت بآية على نبوته كآيات موسى وعيسى،

ثم يفند هذا الزعم ويقول:" إن محمداً كان يقرأ القرآن خاشعاً أواهاً متألهاً [متنسكاً متعبداً] فتفعل قراءته في جذب الناس إلى الإيمان ما لم تفعله جميع آيات الأنبياء الأولين"!!.

أجل لقد صدق الرجل، إن فعل القرآن في نفوس العرب كان أشد وأرقى وأبلغ مما فعلت معجزات جميع الأنبياء بأقوامهم .

المظهر الخامس: زيادة الإيمان عند سماع القران الكريم ، أخذت مسألة زيادة الإيمان حيزاً واسعاً من بحوث العلماء .

والراجح فيها أن الإيمان يزيد بالطاعات وينقص بالمعاصي ،

وهذا ما تؤيده نصوص القرآن الكريم التي تشير بوضوح إلى زيادة الإيمان عند سماع القرآن(٣) .

ومن هذه النصوص:

---

(١) البخاري، ومعه فتح الباري، كتاب الجهاد والسِّير، باب تمنّي الشهادة، رقم (٢٧٩٧) (٦/٢٠).

(٢) "مناهل العرفان" الزرقاني (٢/٤٣٩).

(٣)ذكرها صاحب كتاب حجج القرآن في(الباب العشرون في حجج القائلين بأن الإيمان يزيد وينقص) ضمن الآيات الدالة على ذلك، حجج القرآن (ص:٧٢) ،.

١ــقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا مَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٞ فَمِنۡهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمۡ زَادَتۡهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنٗاۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَزَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَهُمۡ يَسۡتَبۡشِرُونَ ١٢٤ ﴾[1].

٢ ــقوله تعالى﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ٢ ﴾[2].

المظهر السادس: الخوف من الله وخشيته، فإن سماع القرآن الكريم يورث النفوس المؤمنة هيبةً وخشيةً لله عز وجل، ومن الآيات التي تشير إلى هذا المعنى:

١ــقوله تعالى﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ مِن قَبۡلِهِۦٓ إِذَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ يَخِرُّونَ لِلۡأَذۡقَانِ سُجَّدٗا ١٠٧ وَيَقُولُونَ سُبۡحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعۡدُ رَبِّنَا لَمَفۡعُولٗا ١٠٨ وَيَخِرُّونَ لِلۡأَذۡقَانِ يَبۡكُونَ وَيَزِيدُهُمۡ خُشُوعٗا ١٠٩ ﴾[3]

٢ــقوله تعالى : ﴿ فَذَكِّرۡ بِٱلۡقُرۡءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ٤٥ ﴾[4].

٣ــ قوله تعالى :﴿ ٧٢ وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ لَمۡ يَخِرُّواْ عَلَيۡهَا صُمّٗا وَعُمۡيَانٗا ٧٣ ﴾[5].

رابعاً: التحذير من هجر تدبر القران الكريم :

جاءت النصوص الكريمة من الكتاب والسنّة ترشد الأمّة إلى تعاهد القرآن بالتلاوة والتدبر، وتحذر كل الحذر من التقصير في حقِّه، أو هجران تلاوته والعمل به،

---

[1] سورة التوبة: الآية ١٢٤.
[2] سورة الأنفال: الآية ٢.
[3] سورة الإسراء: الآية ١٠٧-١٠٩.
[4] سورة ق: الآية ٤٥.
[5] سورة الفرقان: الآية ٧٣.

ولقد حكى الله عز وجل شكوى الرسول الله صلى الله عليه وسلم لربه هجران قومه للقرآن فقال سبحانه: ﴿ وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُوا۟ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا ﴿٣٠﴾ ﴾[1]، وتوعّد الله سبحانه الذين يعرضون عنه فقال: ﴿ وَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا ﴿٩٩﴾ مَّنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُۥ يَحْمِلُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وِزْرًا ﴿١٠٠﴾ ﴾[2]، ثم صوّر حالة ذلك المعرض يوم القيامة فقال: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ ﴾[3].

أن الذين يتعاملون مع القرآن الكريم تعاملاً سطحياً، ولم يُعطوا القرآن الأولوية والمكانة المناسبة له، وإنما حُجِّم دوره في مراسيم الافتتاح وفي الجنائز ودفن الموتى أو في الوصفات العلاجية وغيرها.

ومن أنواع هجر القرآن الكريم:

الإعراض عن القرآن واللغو فيه: وقد ورد هذا المعنى في تفسير الآية السابقة، يقول الطبري: وذلك أن الله أخبر عنهم بأنهم قالوا﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَسْمَعُوا۟ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْا۟ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾[4]، وذلك هجرهم إياه [5].ومن المصائب التي نراها في أوساط المسلمين بل والمؤمنين هي أنّهم في كلامهم ومحادثاتهم لا يختلفونَ قبل قراءة القرآن وبعده، بل إنهم يزدادونَ صراخاً ودوّياً حينما يُقرأ القرآن على مسامعهم، وكأنّ الله سبحانه أمر في قرآنه باللغو حينَ الاستماع بقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾ ﴾[6]! إن القرآن لم يقبل منّا بالسماع فحسب، بل أراد منّا الاستماع، وهو السماع الواعي المتدبر، وإنّكَ

---

[1] سورة الفرقان: الآية (٣٠).
[2] سورة طه: الآيتان (٩٩-١٠١).
[3] سورة طه: الآية (١٢٤).
[4] سورة فصلت: الآية (٢٦).
[5] تفسير الطبري، مرجع سبق ذكره، ج٩،ص٣٨٥.
[6] سورة الأعراف: الآية (٢٠٤).

إذا رأيتَ هذه الظاهرة السيئة جدّاً، ظاهرة اللغو والقرآن يُتلى، لترحمت على السامعين فضلاً عن المستمعين! ومن الغريب أنّكَ لا ترى استنكاراً لهذه الظاهرة الغريبة المنكرة!!

وأكبر الظن أن هؤلاء (اللاغين) لا يعرفون قيمة الاستماع إلى القرآن الكريم، ويحسبون ذلك من الأمور العاديّة، بينما الآية المباركة والروايات صريحة بضرورة الاستماع والإنصات، وفيهما انفتاح لباب الرحمة الإلهية التي تتطلعُ إليها قلوبُ المؤمنين لقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾ ﴾ [1]، إنّها الرحمة الإلهيّة التي تهبط على هؤلاءِ المنصتين المستمعين.

هجر سماعه وتلاوته: فلا يوجد على وجه البسيطة كتاب يحرّم هجره، ويجب تعاهده وتلاوته؛ إلا القرآن الكريم، فإن هذا من خصائصه التي لا يشاركه فيها أي كتاب، وقد أثنى الله عز وجل على الذين يتعاهدون كتاب ربهم بالتلاوة فقال: ﴿ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾ ﴾ [2]، وحتى لا يقع الناس في هجران القرآن،

فقد بحث العلماء مسألة: في كم من المدّة يقرأ القرآن، وقالوا: "يكره للرجل أن يمر عليه أربعون يوماً لا يقرأ فيها القرآن ".

- **هجر العمل به والوقوف عند حلاله وحرامه:** فيحرم هجر العمل بالقرآن الكريم؛ لأن القرآن إنما نزل لتحليل حلاله وتحريم حرامه والوقوف عند حدوده، فلا يجوز ترك العمل بالقرآن، فإن العمل به هو المقصود الأهم والمطلوب الأعظم من إنزاله.

- **وهجر تحكيمه والتحاكم إليه:** فقد أنزل الله عز وجل كتابه الكريم حتى يحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه، ونهاهم سبحانه عن تحكيم أو تحاكم إلى غير

(١) سورة الأعراف: الآية (٢٠٤).
(٢) سورة آل عمران: الآية (١١٣).

القرآن، فالقرآن الكريم هو دستور المسلمين، وهو الحكم فيما اختلفوا فيه من أمور دينهم ودنياهم، فلا يجوز هجره لابتغاء الحكم في غيره.

- **كذلك هجر تدبره وتفهمه وتعقل معانيه:** فتدبر القرآن الكريم وتعقل معانيه مطلب شرعي، دعا إليه القرآن وحثّت عليه السنة المطهرة، وعمل به الصحابة والتابعون ومن بعدهم، قال تعالى: ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٢٩ ﴾[1]، وفي قوله تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ أَمۡ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقۡفَالُهَآ ٢٤ ﴾[2]، وعليه فلا يجوز هجر تدبره وتأمل معانيه وأحكامه، وكذلك هجر الاستشفاء به والتداوي به في أمراض القلوب والأبدان، وقد وردت نصوص كثيرة في أن القرآن الكريم شفاء، قال سبحانه وتعالى: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٞ وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارٗا ٨٢ ﴾[3]، وقوله تعالى: ﴿ قُلۡ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ هُدٗى وَشِفَآءٞۖ ﴾[4].

ولهجر القرآن الكريم أسباب كثيرة أهمها:

١- البعد عن الله تبارك وتعالى، وضعف الإيمان الذي يصور للإنسان السعادة في الملهيات الكثيرة، كالإعلام الفاسد الذي غزى بيوتنا، والتشاغل بما هو غير مفيد ومضيع للوقت، وكذلك التعليم الذي ركن القرآن وجعله أقل من ثانوي في حياة الطلاب والطالبات وتعظيم العلوم الدنيوية وجعل لها نصيب الأسد من أوقات الدراسة، وإذا أصبح العبد وأمسى وليس همُّه إلا الله وحده، تحمل الله سبحانه حوائجه كلها، وحمل عنه كل ما أهمه، وفرَّغ قلبه لمحبته، ولسانه لذكره، وجوارحه لطاعته، وإن أصبح وأمسى والدنيا همُّه، حمَّله الله همومها

---

[1] سورة ص: الآية (٢٩).
[2] سورة محمد: الآية (٢٤).
[3] سورة الإسراء: الآية (٨٢).
[4] سورة فصلت: الآية (٤٤).

وغمومها وأنكادها ووكله إلى نفسه، فشغل قلبه عن محبته بمحبة الخلق، ولسانه عن ذكره بذكرهم، وجوارحه عن طاعته بخدمتهم وأشغالهم.فكل من أعرض عن عبودية الله وطاعته ومحبته، بُلِيَ بعبودية المخلوق ومحبته وخدمته. قال الله تعالى: ﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ ﴾[1] .

٢- وكذلك عدم الإيمان و اليقين بأن في هذا الكتاب الكريم شفاء لكل داء ..مهما كان شكل الداء و نوعه ..فلو أننا سمعنا باسم فلان عنده الحل لكل المشكلات لرأينا الناس كلها هرعت إليه حتى و لو طلب أغلى الأسعار .. فما بالنا تركنا ما بين أيدينا و انطلقنا نبحث عمن يحل مشاكلنا..؟ الأمر فقط يحتاج منا تفهم و تدبر لكلام الله لنكتشف و نتلمس مواطن العلاج.

[1] سورة الزخرف: الآية (٣٦).

خاتمة

المسلمون اليوم أحوج ما يكونون لإعادة بناء علاقتهم بالقرآن بشكل سليم، ووضع حد لحالة الهجر والفصام بينهم وبينه وإزالة سائر العوائق والحجب بينهم وبينه. وأن يدركوا أنَّ القرآن الكريم وإن كان الله سبحانه وتعالى قد يسره للذكر لكن قارئه يحتاج مع ذلك التيسير إلى منهجية للتدبر لإدراك خصائص خطابه لعله يتمكن من الوصول إلى حالة النظر الخالي من الشوائب التي تحول بين قلب الإنسان وبين فهم معاني القرآن وملامستها واليقين بأنَّنا سوف نجد في القرآن سبيل الهداية إلى كل ما نحن بحاجة إلى الوصول إليه فإنّه ما تنزل بأحد من أهل الأرض نازلة إلا وفي القرآن المجيد سبيل الهدى والطريق الأقوم لمعالجتها.

لذلك يلزم تنشئة نموذج الإنسان المتدبر للقرآن (على مستوى الفرد والجماعة)؛ بما يحقق التعامل الإنساني الرشيد مع القرآن، والتفاعل العميق مع أبعاد التنزيل عبر. تفعيل " المنظومة القيمية القرآنية" في نموذج حضاري فاعل في حياة المجتمع والأمة، وذلك بتجسدها في الإنسان المسلم. وأن يمتلك العقل المتعامل

مع القرآن الأدوات المنهجية والوسائل التي تمكنه من استنهاض " المنظومة المعرفية القرآنية" لتحقيق مقاصد الاستخلاف،

وذالك عبر التدبر لإستعادة الجذوة التصورية والمعرفية والمنهجية للقرآن في واقع الأمة والواقع الإنساني للوصول بالفرد والجماعة إلى المعرفة التي تؤدي إلى العمل بالمعاني المستفادة من تدبر النص القرآني.

إن الإشكالية التي نطرحها في تناول هذا الموضوع تتمثل في بناء وتأصيل الدور الذي توجه إليه النصوص القرآنية في ممارسات الحياة المختلفة على مستوى الفرد وعلى مستوى المجتمع المسلم، بل وعلى مستوى المجتمع الإنساني بشكل عام؛ وذلك بهدف الارتقاء بإنسانية الإنسان بمعايير محددة نص عليها الكتاب المبين، وعلى رأسها العبودية الخالصة لرب العالمين.

إن أهمية هذا الموضوع تعد أمراً واضحاً وصريحاً لكل عاقل يتلمس واقع المسلمين اليوم في غياب الاستثمار الأمثل لهذا الكتاب في حياة الامة الاسلامية،

هذا فضلاً عن عدم إظهار خيره للبشرية الذين اختصنا الله لإيصال رسالته إليهم.

ومن هنا فإن أهمية الموضوع تتمثل في محل الموضوع الذي نحاول من خلال هذه الدراسة أن نطرح الأسلوب الأمثل لاستثمار كتاب الله تعالى الاستثمار الأمثل من أجل التفاعل مع عملية الحياة بصورة أكثر إيجابية، وأكثر استنارة.

لائحة المصادر والمراجع المعتمدة

القران الكريم بالرسم العثماني مصحف المدينة الإصدار الثاني .

١- " إعجاز القرآن " المؤلـف : أ.د. فضل حسن عباس الناشـر : منشورات جامعة القدس بلد النشـر : فلسطين الطبعة الثانية ١٩٩٧م.

٢- "إعجاز القرآن الكريم" فضل حسن عباس, سناء فضل عباس (ط١/١٩٩١م).

٣- "بشراكم يا أهل القرآن"، ص٥، كتيب من إعداد القسم العلمي بدار الوطن بالرياض، السعودية، بدون طبعة، نقلاً عن "تدبر القرآن"، لفضيلة الشيخ صالح الفوزان.

٤- "بيان إعجاز القرآن " الخطابي، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ، دار المعارف – مصر (ط٢/١٣٨٧هـ).

٥- "تفسير القرآن العظيم"، لابن كثير، ٤/ ٥٥، إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي أبو الفداء، (ت: ٧٧٤هـ)، ط/ دار الفكر، بيروت، ١٤٠١هـ.

٦- "فضائل القرآن ومعالمه وآدابه ": أبو عُبيد القاسم بن سلاّم بن عبد الله الهروي البغدادي (ت: ٢٢٤هـ) · المحقق: أحمد عبد الواحد الخياطي ·

الناشر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية – المغرب –الطبعة الأولى – ١٤٠٥هـ/ ١٩٩٥م.

٧- " اقتضاء العلم العمل "المؤلف: أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي ، ص٧١، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، ط/ مكتبة المعارف، الرياض، ط: أولى، ١٤٢٢هـ

٨- "أنوار التنزيل وأسرار التأويل" : ناصرالدين أبوسعيد عبدالله البيضاوي المتوفي (٦٨٥هـ) دار إحياء التراث العربي – بيروت – الطبعة الأولى ١٤١٨هـ.

٩- "البرهان في علوم القرآن" (١/٤٣٤-٤٣٦)، دار المعرفة، بيروت، ط سنة ١٣٩٠هـ

١٠- البيهقي، شعب الإيمان، فصل: في البكاء عند قراءة القرآن (٢/٣٦٤) رقم (٢٠٥٥).

١١- تفسير الطبري:"جامع البيان عن تأويل آي القرآن" المؤلف: أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (224 – 310 هـ) تحقيق: د عبد الله بن عبد المحسن التركي الناشر: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان – القاهرة، مصر الطبعة: الأولى، 1422 هـ - 2001 م.

١٢- " تهذيب سيرة ابن هشام " عبدالسلام هارون (١٩٨٥)، (الطبعة 14)، الكويت: دار البحوث العلمية.

١٣- "تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان" :السعدي مؤسسة الرسالة الطبعة :الأولى ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠ م.

١٤- "الجامع لأحكام القرآن" القرطبي، دار إحياء التراث العربي — بيروت (سنة: ١٩٨٥م).

١٥- "زاد المسير في علم التفسير "- ابن الجوزي دار الايمان ط ٢٠١٦.

١٦- "صحيح البخاري" المؤلف: محمد بن إسماعيل البخاري أبو عبد الله ط. دار ابن كثير سنة النشر: ١٤٢٣ — ٢٠٠٢ .

١٧- فتح القدير الشوكاني اليمني (المتوفى: ١٢٥٠هـ دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت الطبعة : - ١٤١٤ هـ.

١٨- "الفروق اللغوية " العسكري الناشر :دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة – مصر 1974 م.

١٩- "الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان" ابن القيم ، دار الكتب العلمية – بيروت (ط٢/١٩٨٨م).

٢٠- "الفوائد" شمس الدين ابن قيم الجوزية دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة :الثانية، ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣ م.

٢١- " القاموس المحيط": الفيروز آبادي ، دار الجيل، بيروت 1980.

٢٢- "كتاب التعريفات" .علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني: دار الكتب العلمية بيروت -لبنان. ١٩٨٣ م.

٢٣- "مختصر قيام الليل"، لمحمد بن نصر المروزي، ص١٤٩، ط: مؤسسة الرسالة، ط/ ثانية، ١٤١٤هـ.

٢٤- "مدارج السالكين" ابن قيم الجوزية الناشر: دار الكتاب العربي٢٠٠٣ م

٢٥- "المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم" محمد فؤاد عبد الباقي الناشر: دار الكتب المصرية سنة النشر: ١٣٦٤.

٢٦- "مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية أهل العلم والإرادة"، ص٢٢١، لابن القيم ط/ دار ابن عفان، الخبر، السعودية، ط: أولى، ١٤١٦هـ.

٢٧- "مناهل العرفان في علوم القرآن" محمد عبد العظيم الزُّرْقاني الناشر: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه الطبعة الثالثة سنة النشر: ١٣٦٢هـ – ١٩٤٣ م.